تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
السداسي: الثالث
ماستر 2
اسم الوحدة: العلاقات الجزائرية الأوربية 2

أ.د. عبد القادر فكاير

2- العلاقات الجزائرية الهولندية خلال الفترة الحديثة

1- ظهوردولة هولندا وتوسعها الخارجي :

ظهرت هولندا إلى الوجود في أوائل القرن السابع عشر إثر الصراع السياسي والديني الذي شهدته الأراضي المنخفضة في ظل الحكم الأسباني . كانت هولندا جزءا من البلاد المنخفضة الأسبانية ، التي كانت تضم البلاد التي تؤلف اليوم ، هولندا ، بلجيكا ، اللوكسمبورغ ، وشمال فرنسا . كانت تتألف من كثير من سبعة عشر إقليما .

لقد كانت الملاحة عاملا رئيسيا في نمو الاقتصاد في البلاد المنخفضة، فقد استطاعت في خلال بضع عشرات السنين أن تصبح أعظم الدول الاقتصادية والاستعمارية في العالم . وأصبحت وارثة لأسبانيا والبرتغال في البحر. ووسع الهولنديون نشاطهم في أراضي شمال أوربا وأمريكا والهند . وانتشرت سفنهم في بحار البلطيق والمتوسط والأطلسي والهادي.

وأصبحت أمستردام مركز الحياة الاقتصادية لهولندا منذ سنة 1585 عندما انتقل إليها التجار من مدينة (Anvers)، التي أصبحت من أكبر المراكز التجارية في أوربا . وفي سنة 1595 قاد كورنوليس هوتمان أسطولا من 4 سفن واتجه نحو الشواطئ الغربية لإفريقيا حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح . ومنه ذهب إلى جزيرة جاوة وأقام فيها مركزا تجاريا .

وفي عام 1598 انطلقت ثمانون سفينة هولندية نحو عدة جهات ، فحط بعضها في غينيا Guiné على شواطئ إفريقيا الغربية واتجهت أخرى نحو الهند عبر شواطئ إفريقيا. وعاد البحارة الهولنديون إلى بلادهم بمختلف البضائع التي كانت تتوفر عليها المناطق التي تصدرها مثل العاج واللؤلؤ والشاي والقهوة والتوابل . وقد توجهت هذه الرحلات إلى تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1602 من أجل تنظيم عملية من تلك الخيرات .ولما كانت منطقة البحر المتوسط جذابة تتقاطر عليها مختلف القوى سواء المطلة على مياهه ، أو الواقعة خارج نطاقه ، أرسل الهولنديون سفنهم إلى حوضه ليشاركوا مع الأوربيين يسعون من جانبهم لفرض وجودهم فيه .

2- رحلة كورنليس بيجناكير الأولى إلى الجزائر وإبرام معاهدة سنة 1622 :

لقد أثارت المراكز التجارية التي كان يحتلها الفرنسيون في الساحل الشرقي للجزائر اهتمام الدول الأوربية الأخرى، وخاصة الهولنديين والانكليز . وقد نظم الهولنديون أعمال عدوانية ضد السواحل الجزائرية مشتركة مع إسبانا، على مدينة جيجل سنة 1610 ، والذي أدى إلى تخريبها. وفي سنة 1616 ، شنت هولندا هجوما آخر على سواحل نفس المدينة مع الأسطولين الأسباني والانكليزي . ومنذ بداية العقد الثاني من القرن السابع اهتمت هولندا بإرسال مبعوثين لها إلى الجزائر من أجل التوصل لاتفاقيات هدنة .

ومن أجل ذلك أرسال حكام هولندا مبعوثا إلى الجزائر وهو (CornelisPynacker)، الذي انطلق

من بلاده في 7 جويلية 1622 ومعه سفينتين حربيتين . وفي 3 سبتمبر وصل إلى مدينة الجزائر. وظل في مدينة الجزائر إلى غاية 18 أكتوبر. مكلفا بمهمة التوصل مع الجزائريين إلى العيش في سلام والمطالبة بتحرير كل الأسرى الهولنديين دون مقابل ، وقبول سلام و تحالف ضد الأسبان. استقبل المبعوث الهولندي من قبل الباشا حسين حميد آغا قائد جنود الإنكشارية ، وكذلك من طرف الديوان . أعلم الباشا حسين المبعوث الهولندي ، بأن عقد السلام سيكون مستحيلا دون عودة 12 أسيرا جزائريا تم أسرهم من طرف الهولنديين. و في 1 أكتوبر 1622 وعد بيجناكير بعودة الأسرى ، وتحصل من جهته على وعد بإعداد نصا لمعاهدة سلام . ووافق المبعوث على دفع 1500 فلوران ، وقد توجت بعثة بيجناكير بإبرام اتفاقية في شهر أكتوبر بين البلدين احتوت على 14 بندا. و في 18 من الشهر غادر المبعوث الهولندي الجزائر إلى تونس.

ـ حملة يوحنا فندلسين 1630 :

لقد عرفت العلاقات الجزائرية الهولندية توترا خلال عقود الثلاثيناث والأربعينات والخمسينات من القرن 17. و ما يفسر هذا الجو ،غياب القناصل الهولنديين في خلال هذه العقود. وفي وسط هذا الجو المشحون بين البلدين أرسلت هولندا سفينتين حربيتين ، على متنها السيدين يوحنا فيندليسن وأنطونيو دي كيسير.

وصل فيندليسن إلى مدينة الجزائر في جويلية 1630 ، وبعد شهر من وصوله إلى الجزائر في 21 أوت ، أسفرت على أن الحرب أصبحت حقيقة . لقد تبادل الطرفان اللوم والعتاب و رفض السلام . ووضح الجزائريون إلى فيندلسين بعدم جدوى إبرام معاهدة دون حضور القنصل . ولما لجأ فيدلسين إلى الحديث عن السفن الهولندية المحتلة من طرف الجزائريين رد عليه الجزائريون بأنه الهولنديون قد استولوا أخيرا على سفينة جزائرية عليها حمولة قدرت أكثر من 70 ألف فلورة. وكان مراد راس استولى على سفينة هولندية تدعى السنونة (l'hirondelle) التابعة لشركة الهند الغربية وكان على متنها 36 شخصا .

ولعل السبب المباشر للحرب بين البلدين هو هروب عشرة أسرى مسيحيين إلى السفينتين الحربيتين الهولنديتين اللتان حملتا المبعوث الهولندي، وقد رفض بحارتها إرجاع الأسرى الهاربين . وذكرت الرواية الهولندية أن الجزائريين خيروا المبعوث فندلسين بين الحرب وبين إرجاع الهاربين ، فاختار هذا الأخير الحرب . ووعد بأنه سيعود ومعه خمسين سفينة ، وخلال عودته إلى بلاده التي بلغها في ديسمبر 1630 حاول الاستيلاء على الجزائريين في البحر من أجل إبدالهم بأسرى هولنديين من الجزائر . لكن النتيجة كانت مخيبة إذ لم يتمكن من أسر سوى أربعة جزائريين فقط ، بينما تمكن الجزائريون من جهتهم خلال الشهور الأخيرة من سنة 1630 من احتلال 23 سفينة هولندية وأسر 500 هولندي.

ـ حملة أدرياتز دي رويتر الأولى Michel Adriaensz De Ruyter 1655:

رغبت هولندا في إرسال حملة ضد الجزائر بقيادة دي رويتر، الذي أعطى تعليمات ، للقيام باحتلال وحرق أو غرق الأسطول الجزائري. عندما بلغ رويتر مشارف مدينة الجزائر في نهاية أوت 1655 ، أعطى الأمر بتنصيب العلم الإنجليزي على ثمانية سفن ، وحراقتين وذلك بهدف مغالطة الجزائريين ، ثم أرسل ثلاثة سفن للاقتراب من مدينة الجزائر وتستطلع الوضع ، وقد أبلغت البعثة الاستطلاعية دي رويتر بأنها شاهدت أشخاصا في الميناء وإحدى عشر سفينة راسية فيه، خمسة منهم محمية داخل الرصيف.

بناء على هذه المعلومات قرر رويتر إرسال حراقاته إلى الميناء ليلا ، لكن الزوابع البحرية والأمطار منعته من ذلك . وفي 30 أوت نصب الهولنديون على أسطولهم أعلام بلادهم وتقدمت نحو مدينة الجزائر. رست السفن في مكان بعيد عن القذائف الجزائرية ، وأراد روويترا أن يجرب حظه في منح 250 فلوران لكل متطوع مستعد للمخاطرة بالذهاب إلى الميناء بالحراقات خاصة وأن البحر كان هادئا في هذه الليلة .

وفي اليوم الموالي فأدرك بأن الهجوم في هذه الحالة يكون مستحيلا، ولذا انسحب راجعا من حيث جاء.وفي طريق اصطدم بأسطول جزائري من إحدى عشر سفينة ووقعت معركة بينهما في مضيق جبل طارق، فقتل 120 جزائري ، كما فقدوا أربعة سفن، وعدد آخر وقع في الأسر. وواصل الجزائريون من جهتهم حربهم ضد الهولنديين الذين تمكنوا خلال الفترة مابين 1656-1661 من غنم 35 سفينة هولندية .

ـ حملة رويتر الثانية على الجزائر 1662 :

أرسلت السلطات الهولندية دي رويتر للمرة الثانية إلى الجزائر في مهمة سلام، و في 5 أفريل 1662 وصل دي رويتر إلى الجزائر مكث فيها 8 أيام، وغادرها في 13 أفريل . لقد بقي دي رويتر في السفينة دون أن ينزل إلى البر وتولى التفاوض باسم دي رويتر Gilbert de Uyanen ، لقد قابل هذا الشخص سفيان آغا . لقد أدت هذه المفاوضات إلى تحرير 55 هولنديا وأكثر من هذا أسفرت على هدنة لمدة 7 أشهر نصت على عدم تعرض البحارة الجزائريين إلى السفن الحربية الهولندية . كما نصت على حق الجزائريين في تحصيل الإتاوات عن السلع الإسبانية و الإيطالية الموجودة على ظهر السفن التجارية الهولندية . و نصب دي رويتر أحد رجاه المدعو Andries Vander Burgh للقيام بدور قنصل

ـ حملة دي رويتر الثالثة 1664 :

أرسلت هولندا مرة أخرى دي وريتر نحو الجزائر لافتداء الأسرى . فقد غادر بلاده في 11 أفريل 1664 ومعه 4 مدافع و 8 ألف فلوران. بلغ متوسط الفدية 500 فلوران لكل شخص ، وهو مبلغ كاف لتحرير كل الأسرى الهولنديون. وصل دي رويتر فلوران على رأس أسطول متألف من 12 سفينة إلى مدينة الجزائر في 19 جوان 1664. وقابل علي آغا يوم 30 جوان و أبدى لديه رغبته في افتداء كل الأسرى الهولنديون ، وأنه على استعداد لدفع 500 فلوران لكل شخص . استطاع دي رويتر أن يفتدي 55 أسير، مقابل 50 ألف فلوران.

أضاف الكاتب الهولندي فان كريكن Gerarde Van KrieKen بأن دي رويتر كان مهتما بافتداء بأسرى هولنديون آخرين ، مقابل المبلغ المتبقي له البالغ 30 ألف فلوران . لكن آغا طلب منه دفع مبالغ مالية مرتفعة مقابل أسرى مسيحيين أجانب.

ـ الحرب الإنجليزية الهولندية على الجز ائر1670:

تردت العلاقات الجزائرية مع إنجلترا مما أدى في سنة 1668 ، ونظرا لتوتر العلاقات الجزائرية الهولندية كذلك ، قرر البلدان الأوربيان التعاون من أجل شن الحرب على الجزائريين . جاء ذلك بعد أن هاجم البحارة الجزائريون سفينة حربية هولندية. نتيجة لهذه العملية الحربية اتصلت القيادة الهولندية بالقيادة الإنجليزية ، وتم الاتفاق بين الطرفين على إرسال أسطول مشترك يتشكل من خمسة سفن إنجليزية تحت قيادة الضابط ريشارد ألين Richard Allen و أربعة سفن هولندية تحت قيادة ويليام فان جنت (Willem Van Gent) . بناءا على تعليمات دي رويتر De Ruyter تم تجميع الأسطول في مضيق جبل طارق . وفي أوت 1670 اعترض هذا الأسطول المشترك أسطولا جزائريا من 7 سفن كبرى الذي كان قادما من المحيط الأطلسي ، تحمل كل منها على الأقل 30 مدفعا ، وعلى ظهر الأسطول1800 جزائري و أكثر من 200 أسير ، و لما علمت القيادة الجزائرية بالكمين الأوربي ، جنحت 6 سفن إلى السواحل المغربية ولم يتمكن "فان جنت" و"ألين" من القبض إلا عدد من الجزائريين الجرحى ، وتحرير عددا من الأسرى المسيحيين . وبعد سنة 1671 حطم الإنجليز عشرة سفن في ميناء بجاية .

ـ رحلة توماس هيس الأولى إلى الجزائر: (1675 - 1676)

وكانت الجزائر قد ودت في إجراء اتصالات مع هولندا ، حيث بعث في شهر ماي من سنة 1674

الحاج محمد رسالة إلى حكام هولندا أعلن فيها عن رغبته في إقامة علاقات طيبة بين البلدين . كان التجاوب الهولندي منسجما مع رغبة الحاج محمد ، إذ في شهر أفريل من سنة 1675 قرر حكام هولندا إرسال توماس هيس إلى الجزائر كمندوب عن هولندا.

توجه توماس هيس على رأس أربعة سفن حربية نحو الجزائر، فوصلها في 13 أكتوبر 1675 . استقبله الحاج محمد. و بعد إقامته في الجزائر لمدة 18 شهرا توصل الطرفان إلى إبرام معاهدة في 9 ماي1677 ، تتعلق هذه المعاهدة بتحرير الأسرى . وقد خصصت لاهاي سفينة حربية لنقل الفدية إلى الجزائر ، من أجل ضمان عودة الأسرى إلى بلادهم .

علما بأنه من ماي 1677 عندما أبرم الاتفاق على تحرير الأسرى كان في الجزائر 590 أسيرا تم شحنهم على ظهر 70 سفينة هولندية من بينهم 420 من أصل هولندي ، أما الآخرون فمن أصول ألمانية و اسكندنافية . وقدمت هولندا مقابل هذا الاتفاق إلى الجزائر8 مدافع . و في نفس السنة غادر توماس هيس الجزائر وذلك في 8 ماي 1680 . وذلك بعد أن ترك في الجزائر قنصل بلاده (Gacobus Tollius).

- عودة هيس إلى الجزائر:

كانت الجزائر في حالة حرب مع فرنسا منذ اندلاعها في أكتوبر 1681 ، حيث تعرضت مدينة الجزائر لقصف تولى زعامته القائد دوكيسن (Duquesne) . في هذه الظروف توجه توماس هيس مرة ثانية إلى مدينة الجزائر في بداية خريف سنة 1682 . حيث وصلها في 17 أكتوبر ومعه مبلغ مالي قيمته 170 ألف فلوران من بينها 115 ألف مخصصة للأسرى في مدينة أمستردام . قام بجمع جزء منها JOHNNES HEES في العاصمة الهولندية ، وكذلك المبلغ الذي لم ينفعه دي رويتر خلال سنة 1664 . وفي هذه الأثناء فضلت مقاطعة زيلندا الهولندية (ZELANDE) تولي أمر تحرير أسراها بنفسها . فنظمت عمليات الجمع، وقد استطاعت هذه المقاطعة قبل وصول توماس هيس إلى الجزائر من إفتداء 42 أسير من مجموع 82 أسير الذين تم نقلهم إلى هولندا على ظهر سفينتين حربيتين حيث دفع في المتوسط 750 فلوران عن الشخص الواحد.

ولما غادر هيس الجزائر، ترك 80 من مواطنيه من الجزائر من بينهم 40 أسيرا من مقاطعة زيلاندا ، ومن أجل تحرير الأسرى المتبقيين أودع هيس 12500 فلوران للحصول على حريتهم فيما بعد . ولما كان المبلغ المالي المجموع ، مخصصا لتحرير الأسرى الهولنديين ، فإن هيس لم يقم بافتداء الأسرى الألمان والأسكندينافيين.

لقد تحسنت العلاقات بين الجزائر وهولندا بعد زيارة هيس هذه إلى الجزائر. حيث أبدى بابا حسن في عدة مناسبات عن تأييده لحسن العلاقات مع هذا البلد ، وتجنب المشاكل مع الهولنديين ما دامت بلاده في حرب مع فرنسا ، كما أنه لم يتلق الهدايا التي وعدته لندن إثر تجديد السلام مع إنكلترا.

- زيارة هيس الثالثة إلى الجزائرسنة 1685:

لقد رجع هيس مرة أخرى إلى الجزائر العاصمة في من شهر فيفري في عام1685 في زيارة حميمية ، وجلب معه 240 برميل من البارود وهدايا أخرى ذات قيمة إجمالية تقدر بخمسة آلاف فلوران ، ولم يكن الحاكم الحسين على استعداد لاستقباله لأنه كان مريضا.

ومن جهة أخرى أعلم القنصل الهولندي كريستوفل ماتياس Christofell Mathias(38) هيس عن الأوضاع السائدة في الجزائر وبأن حسين الذي كان قد أبرم السلام مع فرنسا في أفريل 1684، كان قد صرح في عدة مناسبات عن رغبته العيش في سلام مع هولندا ، وأضاف بأن السفن التجارية الهولندية تتجنب المجيء إلى الجزائر وأنها لا تظهر إلا نادرا في مينائها . مادامت السفن التجارية الهولندية لا تبحر بصفة عادية في ميناء الجزائر فإنه من الضروري على السفن الحربية الهولندية أن تظهر من حين لآخر .

وما كانت توجسات هذا القنصل تصل إلى مبعوث بلاده ، فإن حسين أبدى ترحابه خلال استقباله للمبعوث الهولندي ومدح الصداقة مع هولندا ووعد بأنه سيعاقب البحارة المذنبين ، ودعا بصراحة السفن الهولندية على التوقف في ميناء الجزائر . وفي المقابل كان تجاوب هيس أن قام بتفريغ براميل البارود كما قام بافتداء 10 أسرى هولنديين الذين لم يتم تحريرهم في سنة 1682.

وفي زيارة الوداع التي جرت في 24 مارس ، أوضح حسين المشاكل المتعلقة بقلة تردد البحرية الهولندية حيث أكد مثل سلفه شعبان آغا ، على ضرورة استعمال نموذج موحد للرايات ، عوض النماذج المختلفة التي تقدمها المقاطعات والمدن الهولندية .

ـ الحملة الانكليزية الهولندية على الجزائر 1816

كلف مؤتمر فيينا باسم الدول الأوربية اللورد اكسموث لضرب الجزائر باسم وضع حد لاستعباد المسيحيين . وكان اللورد اكسموث وفون كابلين الهولندي قائدا الحملة على اطلاع بطبيعة التحصينات ، ونظام الدفاع بمدينة الجزائر، التي زودهما بها الجاسوسين النقيب ويرد (Warde) والضابط زيقل (Ziewgel)، وكان الجزائريون على علم بحركة الأسطول المسيحي ، الذي كان يتجول في المتوسط وبنية الدول الأوربية السيئة تجاه بلادهم . ولهذا قاموا بتعزيز المراكز الدفاعية والتحصينات ، ووضع كميات السلاح على أهبة الاستعداد .

وصل الأسطول الانكليزي الهولندي المشترك إلى الجزائر يوم 27 أوت. وعلى الفور طلب اللورد اكسموث من الداي عمر باشا عقد الصلح ، وأن يكون الرد في خلال ساعة واحدة فقط . وكان رد الداي وكبار المسؤولين بالرفض لأوامر الأميرال . عندئذ بادرت القوات المسيحية في ضرب مدينة بالقذائف . وقد وصف الداي عمر باشا المعركة حيث قال : ((لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت إحدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة...لم نرى دقيقة راحة واحدة ، إذ أخذت تتهاطل علينا في كل لحظة سيلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم)) . وقد قاوم الجزائريون العدوان بكل قوة ، حتى جعلت قائد الحملة الانكليزي اكسموث يقول : ((لم أرى في حياتي أعداء يحاربون بإيمان وثبات وجأش كهؤلاء)) . لقد كانت الخسائر المادية جسيمة ، فقد أحرقت كل البواخر والسفن التجارية الجزائرية، وتحطمت التحصينات وميناء الجزائر خلال ساعة واحدة نظرا لكثرة القصف . وبلغت الخسائر البشرية من الجزائريين ثلاثمائة بين قتيل وجريح . أما من الجانب الانكليزي والهولندي فكان أكثر من ثمانمائة قتيل . وعن نهاية المعركة ذكر تقرير حرر في القنصلية الأمريكية أن الجزائريين قبلوا بشروط الصلح التي قدمها إليهم المنتصرون . ومن أهم نتائجها إطلاق سراح أكثر من 1200أسير مسيحي بدون فدية.

معاهدات الجزائر مع هوانداً:

لقد أبرمت الجزائر مع هولندا العديد من المعاهدات مابين 1622 و1818 وهي:

1- معاهدة أكتوبر 1622.
2- معاهدة أفريل 1662.
3- معاهدة من أجل فدية الأسرى 1677.
4- معاهد من أجل استعادة السلم بين البلدين 1679.
5- معاهدة السلم الدائم 1680.
6- معاهدة السلم 1726.
7- معاهدة تحالف دفاعي بين هولندا وإسبانيا ضد إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الموقعة في (Alcala de Henares) يوم 10 أوت 1816.
8- معاهدة سلم بين ملك هولندا وداي الجزائر يوم 28 أوت 1816.